القسم الثانى

الدراسات

أهمية القراءة لدى الطفل

للقراءة أهمية قصوى في حياة الإنسان، وخاصة الطفل، حيث تجعله يكتسب خبرات،ويلم بكل ماحوله من معرفة، كما تساعده على أن تخرج مواهبه للنور، وتنمي حسه الإبداعي.

و الكتاب هو الوسيلة الوحيدة التي يملك الطفل حيالها حرية التوقف والإختيار، والتساؤل، وأحيانا الرفض. فالصور التلفزيونية تتوالى أمام أعين الطفل بسرعة ولا تترك له فرصة التوقف والإعادة والتساؤل، كما أن الأصوات الإذاعية تتوالى كذلك على سمعه دون أن يستطيع الطفل إسكاتها لكي يعطي لنفسه فرصة التأمل، أما الكتاب فإن الطفل يستطيع أن يوقفه وأن يأمره بالصمت، حتى يخلو إلى نفسه وإلى تخيلاته.

ولكي يكون كتاب الطفل جديرا بالقراءة،لابد أن تتوفر فيه عدة نقاط ليصبح له فعالية وهى:

×الحد من المباشرة والتقليل من الوعظ.

×البعد عن فكرة العصورالأدبية التي قد تفرض على الطفل من النصوص ما لايساعده على تنمية حسه الإبداعي.

×التطور في استخدام الصور الموضحة.

×التطور في استخدام اللغة.

كما يجب أن يكون هناك موقفا تربويا من فرض فكرة العصور الأدبية على الكتاب المدرسي، لإعطاء الطالب صورة عن كل عصر أدبي،ابتداء من العصر الجاهلي، والعصر العباسي، العصر الأندلسي، وعصر الدول والإمارات مع تقديم صورة تاريخية لكل عصر.

والجدير بالذكر أن هناك وسائل حديثة لغزوعالم الطفل في إطار عصر الثورة التكنولوجية في وسائل الإتصال ووسائل التعليم والتثقيف والترفيه،ومن أهم هذه الوسائل:

الفيديو كاسيت، الأفلام التعليمية، أفلام التسلية، التدريب، وألعاب السرعة.

فالكتاب الذي يقدم للطفل يقوم مقام الحارس لحماية قدرات الطفل وميوله وحاجاته النفسية . كما أن للكتاب دورأساسي في مساعدة الطفل على استكشاف العالم من حوله، وتربية شخصيته على أسس من الثقافة ، ويساعده أيضا على التكيف الإجتماعي وإحداث تغيرات في أنماط سلوكه.

ويتلاقى الكتاب في هذه الأهداف مع وسائل الإعلام تلاقيا وظيفيا، فإذا حدث تكامل بين الكتاب الموجه للطفل وبين وسائل الإعلام، يحقق ذلك نتائج هامة.

يجعل الطفل يقبل على القراءة ويحب الكتاب، ويحتفظ به كجزء من أشيائه لأنه يشكل عقل الطفل ووجدانه، والهدف في النهاية هو إخراج كتاب جذاب وممتع ومفيد يتمشى مع آخر منجزات العلم، ويساعد الطفل المصري على تنمية انتمائه الوطني والقومي، وتوسيع مداركه ، وإدخاله في قلب علوم العصر، ومساعدته على تعميق وعيه بتاريخه وتراثه الديني والقومي

مشكلات وقضايا كتاب الطفل

في نشر كتاب الطفل قضايا ومشاكل كثيرة جدا، تتعلق بالظروف السائدة، فكتاب الطفل المفروض أن يكون جميلا وملونا ومطبوعا على ورق فاخر.

وكل هذا يعني أن نرفع من ثمنه عاليا، وقد يعجز معظم أطفالنا على الدفع، ثم أن قراءة كتاب الطفل لاتستغرق وقتا طويلا، وفي الإمكان أن يقرأ في وقت قصير ثم يشتري غيره، وهذا يكلف الآباء أعباء كثيرة.

يقول أحد الكتاب المتخصصين في أدب الأطفال:

منذ أسابيع زارتني طفلة في مكتبتي ، وأخبرتني أن معها مبلغا من المال وتريد أن تشتري مجموعة من القصص والمجلات، وسألتني أن أختار لها الكتب المناسبة، وبالفعل نفذت لها رغبتها،

وأمام فاترينة الكتب والمجلات أعجبت ببعضها، ثم مدت يدها بالنقود وللأسف ما معها لايكفي لشراء أكثر من مجلتين،إشتريت لها بقدر ما استطعت، ثم سألتها أن تذهب إلى المكتبة الخاصة- القراءة للجميع- لتستمتع بالقراءة مجانا.

وللأسف، العالم اليوم وخاصة في وطننا العربي، يعيش صراعا حادا، قويا يختلف عن جميع ميادين صراعات الأمس، صراع الثقافة ، والعلم، وتنوير العقول،فعقل الإنسان يتكون من الصغر كما يقولون "العلم في الصغر كالنقش على الحجر" لايزول ويتطور بالتعليم والقراءة وبوسائل الإعلام الأخرى، وعلينا أن نهتم بأطفالنا،لأنهم هم أمل المستقبل وأساس الحضارة المرتقبة التي نتطلع إليها جميعا، والثقافة والأدب هما عماد تلك الحضارات، فالعقل الواعي المبدع هو طريق الأمل الجديد. ولاشك أن أدب الطفل هو أهم الآداب باعتباره الموجه للبراعم الصاعدة، والصانع لعادات ومقومات التربية والأخلاق الحميدة لمستقبل الأمم.

وللأسف إن نسبة كبيرة من كتب الأطفال اليوم- سواء كانت مترجمة أو مقتبسة من أعمال- لا تنتمي لتاريخنا وحضارتنا وتربيتنا الدينية،على سبيل المثال)القطة الغولة) التي أكلت صاحبتها من أجل أكلة عصيدة. وتكتمل القصة بأن القطة التهمت بعد ذلك الخير والحب والجمال.

فلابد أن تتناسب نوعية الكتاب مع سن الطفل، وألا تكون مُطعمة بالأساطير والعفاريت والأشباح،وإذا وُجد ذلك فلابد أن يكون الغرض منه نبذ الخرافات والخزعبلات،ولا يبقي منها إلا ما جاء بهدف.

أيضا نلاحظ أن كتب الأطفال اليوم أصبحت سلعة تجارية، يتنافس عليها المتنافسون من أجل الربح فقط ولا يعنيهم المضمون، وقد نسوا أن الطفل بريء وصادق، ويصدق كل ما يقال له. وينقد ببراءة وقسوة ووعي، لايعرف المجاملات وهو يخاطب الآخرين أو يحكم عليهم، لذلك لا يجب علينا أن نخدعه.

التنشئة الإجتماعية ودورها في تنمية القراءة

تلعب التنشئة الإجتماعية دوراهاما في توجيه اهتمامات الطفل بالكتاب منذ السنوات الأولى من العمرعلى مستوى الأسرة ودور الحضانة والمدرسة مما يجعل الطفل يشب على التعامل مع الكتاب كصديق ورئيس قبل أن يكون وسيلة للتعليم والتعلم، ويعمل على تكوين عادة القراءة وتعلم مهاراتها.

وهنا يكون لنموذج القدوة أثره البالغ، فالأسرة تقدم لأبنائها الكتاب كهدية في العيد أو مكافأة على نجاحه ،والأسرة التي تمتلك مكتبة منزلية أوتصطحب أبناءها لمعارض الكتب تكون أسرة جديرة بالتقدير.

دور المدرسة في تنمية القراءة

يجب أن نحرص على أن تتحول الكتب المدرسية إلى كتب أطفال جذابة،أوكتب إعلامية تربوية شائعة تجمع بين تحقيق الأهداف المدرسية التعليمية وبين التشويق والمتعة والطرافة.

ومن الضروري أن نتذكر دائما، ويتذكر المعنيون الذين وضعت مصائرالتلاميذ بين أيديهم أن تلاميذ المدارس هم أطفال لهم خصائص الأطفال، واهتمامات الأطفال، وقدرات الأطفال قبل أن يكونوا من التلاميذ. وفي كثير من الدول المتقدمة،ليست هناك كتب دراسية مفروضة ، وإنما تترك الحرية للمدارس أو المناطق التعليمية لتختار الكتب الشائعة المناسبة، التي تغطي الموضوعات التي تتطلب دراستها.

فإذا نجحت كتب الأطفال في أن تجد لها مضمونامستمدا من محتوى (الكتب المدرسية) وإذا قدمت هذا (المضمون المدرسي) بأسلوب أدب الأطفال الشائق السليم،فإنها تكون قد قامت (بعمل كبير) هو تحويل (الكتب المدرسية) التقليدية إلى كتب أطفال شائعة تشد الأطفال وتجذبهم وتحببهم في الكتب والقراءة والعلم والتعليم ،فتصبح المدرسة مكانا محببا يهرع إليه الأطفال عن رغبة حقيقية في ممارسة العلم والتعليم.

فالكتاب المدرسي للأسف يلاقي قدرًا كبيرًا من التحديات لم يصادفها طيلة تاريخه،وهي تحديات تأتيه من أجهزة الإعلام الحديثة التي استطاعت أن تسرق الطفل من عالم الكتاب. فالرسوم المتحركة، وأفلام ميكي ماوس وغرائب الطبيعة،وعالم البحار والحيوانات والإثارة، كل ذلك استطاع أن يصيب الطفل بما نسميه بعملية الإبهار، وهى عملية تستولي على الطفل، وتحيله إلى مُتلقٍ يستجيب دون أن يشارك. فقد شاهد قصة (سندريللا) في أوبرا أو فيلم، فنجد المخرج يحدد ملابسها، وصورة الجنيَّة وما إلى ذلك وهو تحديد يحمل في مجمله رؤية المخرج،أما سندريلا التي يقرؤها الطفل بين صفحات كتاب،فهي سندريلا من إبداع الطفل فهو يخترع ملابسها وشكلها وصورة غربتها ومنظر الجنيَّة والأمير، ومن هنا كانت القراءة -كما يقول النقاد- نوعا من الإبداع والتأليف.

فالكتاب بطبيعته هو الوسيلة الوحيدة التي يملك إزاءها الطفل حرية التوقف والإختبار والتساؤل، وأحيانا الرفض. فالصورالتلفزيونية تتوالى أمام عين الطفل بسرعة،ولا تترك له فرصة التوقف والإعادة والتساؤل.والأصوات الإذاعية تتوالى كذلك على مسمعه،دون أن يستطيع الطفل إسكاتها لكي يعطي لنفسه فرصة التأمل.

أما الكتاب فإن الطفل يستطيع أن يوقفه وأن يأمره بالصمت حتى يخلو إلى نفسه وإلى تخيلاته ولابد أن يتضمن كتاب الطفل عدة نقاط حتى تكون له فاعلية هي:

×الحد من المباشرة والتقليل من نبرة الوعظ.

×البعد عن فكرة العصورالأدبية التي قد تعرض على الطفل من النصوص ما لايساعد على تنمية حسه الإبداعي.

× التطور في استخدام الصور الموضحة.

× التطور في استخدام اللغة.

كما يجب أن نتخذ موقفا تربويا من فرض فكرة العصورالأدبية على الكتاب المدرسي، وهي فكرة تهدف إلى إعطاء الطالب صورة عن كل عصر أدبي،ابتداء من العصر الجاهلي والعصر العباسي، والعصر الأندلسي، وعصر الدول والإمارات.وفي كل عصر يفرض المؤلفون على الطالب نماذج تمثل هذا العصر، وتقدم صورة تاريخية .

عصر التكنولوجيا وثقافة الطفل:

هناك وسائل حديثة لغزوعالم الطفل في إطارعصر الثورة التكنولوجية في وسائل الإتصال، ووسائل التعليم والتثقيف والترفيه ، ومن أهم هذه الوسائل:

الفيديو كاسيت، والأفلام التعليمية وأفلام التسلية والتدريب، وألعاب السرعة. بيد أن هذه الوسائل التي تغزو عالم الطفل لاستهوائه وإغرائه -وبرغم أهميتها- ليست في الحقيقة إلا وسائل تكميلية تأتي وظيفتها بعد، والوسيلة الرئيسية الأولى لتعلم الطفل وتثقيفه وإقناعه وتوعيته هي الكتاب، بل إن الكتاب الذي يقوم مقام الحارس لحماية قدرات الطفل وميوله وحاجاته النفسية من الآثار الجانبية السيئة للوسائل التكنولوجية الحديثة.

فكتاب الطفل له دور أساسي في مساعدة الطفل على استكشاف العالم من حوله وتربية شخصيته على أسس من الثقافة. وكتاب الطفل يتلاقى ووسائل الإعلام تلاقيا وظيفيا، فكلاهما أداة للتفاهم يتم عن طريقها نقل الرسائل،وكلاهما يستهدف مساعدة الأطفال على التكيف الإجتماعي وإحداث تغيرات في أنماطه السلوكية. والتكامل المنشود بين كتاب الطفل ووسائل الإعلام يمكن أن يحقق النتائج التالية..

يجعل الطفل يُقبل على القراءة، ويحب الكتاب، ويحتفظ به كجزء من أشيائه الخاصة، لأنه يشكل عقل الطفل ووجدانه، ذلك أن الهدف في النهاية هو إخراج كتاب جذاب ،ممتع ومفيد يتمشى مع آخر منجزات العلم، ويساعد الطفل المصري على تنمية انتمائه الوطني والقومي، وتوسيع مداركه، وإدخاله في قلب علوم

العصر ومعارفه، ومساعدته على تعميق وعيه التاريخي وتراثه الديني والقومي والخلقي.

فأهمية الكتاب هي نقل المعلومات والأفكار من جيل إلى جيل، وأهمية الكتاب الديني هي نقل القيم الروحية والمباديء العالية التي يصعب على المجتمع أن يكون متحضرا بغيرها. ومن هنا يجب أن يقدم الكتاب صورة للعقيدة الصحيحة عن الله عز وجل ،وعن حقيقة الحياة البشرية ، وكيف أنها تعبر عن منطقتين هامتين هما الدنيا والآخرة، ومعرفة الطفل بأن الدنيا هي جسر نحو الآخرة أو فترة إمتحان تظهر نتائجها في الآخرة.

هذه المعرفة سوف تخرج إلى الحياة إنسانا يحب الله تعالى ويخشاه، كما أن كتاب الطفل يقدم الصورة اللائقة عن الإنسان بوصفه خليفة في الأرض، وبيان أن التقدم المادي والروحي معا هما جناحان لايمكن الطيران بغيرهما.

ونحن في حاجة إلى كتابات دينية تصل الأطفال بالله تعالى وقيم الديانات.

كما يدفع الكتاب الأطفال إلى الحب لا الخوف، فلقد آن الأوان أن ينتهي عصر حكايات العفاريت والغيلان التي كانت تقصها الجدة العجوز في القرية، وأفضل شكل لكتاب الطفل هو الشكل القصصي، والأسلوب غير المباشر لبث القيم، كما أن الخيال

عنصرأساسي في كتاب الطفل، ففي القصة التي تقدم للطفل- مثلا- يراعى فيها الموقف، والأحداث، الشخصيات،

والعقدة والخاتمة،وكل عنصر ينبغي أن ننظر إليه من حيث قربه أو بعده من خبرة المتعلم ومن حيث أثره فيه، بالإضافة إلى مراعاة الحركة والمفاجأة والفكاهة، كما أن القصة يجب أن تكون بسيطة البناء، كما أن السرد والوصف والحوار، وهى أمور تتكامل مع القصة كطرق للعرض.

خاتمة

نخلص إلى أن ما يقدم لأطفالنا من خلال الوسائط يشير إلى أن ميدان الكتابة للطفل يفتقر إلى الخبراء والمتخصصين، وهذا الميدان في أمَس الحاجة إلى دراسات علمية متخصصة وأبحاث تربوية لدراسة أنواع قصص الأطفال وكتبهم، ومجلاتهم، ومسرحياتهم وأغانيهم وأناشيدهم، وكل ما يقدم لهم من علم أو معرفة أو أدب أو فن أو تربية ومعرفة معايير اختبار هذه المواد المطبوعة.

إننا في حاجة إلى وضع معايير اختبار كتب الأطفال،ومعرفة ما يناسب الطفل من خلال هذه المعايير،ومعرفة مدى مناسبة محتوى الكتب في القدرة على إِشباع حاجات الفرد النفسية،

وما يمكن أن يكتسبه الطفل من قيم ومباديء واتجاهات خاصة بالمجتمع الذي يعيش فيه ومعاونته على النمو السليم المتكامل.

وهناك معايير لازمة لكتاب الطفل في مرحلة ما قبل المدرسة، وأخرى لازمة لطفل المدرسة الإبتدائية، وهي أمر ضروري لكل من يهمه مواصفات الكتاب الثقافي للطفل وهى:

×من ناحية المضمون، لابد أن تكون البداية مشوقة، وأيضا وصْل الطفل بالثقافة العربية الأصيلة، تنمية قدرة الطفل على التفكير، تنمية الإنتماء الوطني والقومي، الجو النفسي يشيع المرح والبهجة، الفكاهة والنوادر، الوعي البيئي والمحافظة على البيئة.

×من ناحية الإخراج، الورق يكون ذا لون أبيض مصقول، استخدام عناوين جانبية ووسطية، وتكون عدد الصفحات دون المائة، استخدام علامات الترقيم،ضرورة وجود فهرس للكتاب.

× من ناحية اللغة.. يراعى استخدام التراكيب العربية الفصيحة المُيسرة، والجمل البسيطة،أن تشتمل الفقرة على فكرة واحدة، أيضا الإعتماد على الحوارأكثر من السرد، البعد عن الاستطراد، والمراوحة بين الأسلوب الخبري والإنشائي.

×مفردات خاصة بكتب الأطفال من ست سنوات وحتى أقل من

تسع سنوات، استكشاف الطفل للبيئة التي تحيط به، وتقديم إجابات عن أسئلةٍ تدور حول عالم الطيور والحيوانات، تقديم القصص الخيالية والتاريخية والعلمية والدينية والمغامرات، تقديم كتب عن تبسيط العلوم، شخصية البطل من الأطفال أو الحيوانات والطيور، المحافظة على المرافق العامة، انتصار الخير على الشر

×تقديم مفاهيم ومهارات اجتماعية نافعة، إثارة التفكير وحسن التصرف، عرض المعلومات الوظيفية، تقديم العلم والعلماء، الأبطال والبطولات، أسرار الكون والحياة ، عرض مغامرات مفيدة ومثيرة، تقديم قصص الألغازوالخيال والرحلات والتراجم والفضاء والكون.

× تنمية المسئولية الإجتماعية والوعي الإجتماعي، تنمية الإبداع والتذوق.

× مقاومة المشكلات التي تواجه كتب الأطفال منها..

- إهمال المشكلات الشائعة في مجتمعنا العربي الحديث والتي انتشرت في الآونة الأخيرة بشكل ملحوظ وهي تمثل الوجه السلبي للقيم، وتعكس صورة للتلوث البيئي،والخروج على العادات والتقاليد، وكل ذلك يمكن أن تقوم كتب الأطفال بدور فيه.

أيضا من ضمن المشكلات،عدم وعي بعض كُتاب الأطفال بالمرحلة العمرية للأطفال.

المراجع

أبحاث ودراسات ندوة (كتاب الطفل) التي عقدت منذ سنوات قليلة في المجلس الأعلى للثقافة، وشارك فيها نخبة من الكتاب والنقاد من المهتمين بثقافة الطفل.وهم:

د. عبد الحميد إبراهيم، الشاعر سمير عبد الباقي، د. سعد الهجرسي، د. حسن شحاتة وغيرهم.

بالإضافة لبعض المقالات المنشورة في الصحف القومية والدوريات، وما تم إذاعته في بعض البرامج(الثقافية) في مهرجان القراءة للجميع

المرأة في حياة طه حسين

كانت الأم تحنوعلى وليدها الضرير وتستجيب لمشاعر الطفولة البائسة، ولولا حنانها لما صمد وتحمل معاناة حرمانه من نعمة البصر.

وأول صوت للنساء علِق في ذهنه عندما كان يسمعهن وهن عائدات وقد ملأن جرارهن من الترع ويغنين، الله يا ليل .. الله،فيعرف أن الفجر قد بذغ عرف أيضا المرأة المخيفة، قبيحة الشكل(كوابس) التي كانت تقبله من وقت لآخر ويؤذيه خزامها، عندما كان يمر من أمامها في السوق.

وعرف طبائع النساء بأنهن يهوين الغناء والحديث مع أنفسهن إذا لم يجدن من يتحدث إليهن، وكان يطرب لصوت أمه وهى تعدد وأخواته وهن يغنين، عرف أيضا صبية تدعى(نفيسة) وكانت أقدر الناس على الرشوة، حاولت أن تلهيه عن آداء واجبه بالغناء والأحاديث والقصص، وبالتالي علقت في ذهنه، عرف بعدها.

ومن أهم آرائه التقدمية، الدعوة لتحرير المرأة، وكشف التعسف عنها، وكان لهذه الأفكار تأثيرها في دخول البنات الجامعة مقتدين بالدكتورة سهير القلماوي ذلك المفكر العبقري،

عميد الأدب العربي،(طه حسين) والذي ولد في قرية الكيلو في أسرة متوسطة الحال، حرم من نعمة البصر في حداث سنه نتيجة للممارسات الخاطئة في القرية المصرية، لكن الله عوضه عن ذلك بفكر مستنير وخيال جامح، لدرجة أنه وصف زهرة (شقائق النعمان) التي كانت تطل عليها نافذة حجرته في باريس، ولم تكن هذه العاهة تؤثر على مستواه العلمي والفكري، بل كانت حافزا له ودفعته إلى التألق والنجومية في مجال الأدب والفكر، وظهرت عبقريته منذ تعلم في الكتاب وذلك في حواراته وجدله في كل شئون الحياة، وأصبح مندوبا للعريف، وقد اقتدى بسلوك أبي العلاء المعري الشيخ، وراح يجادل كبار الشيوخ بفكره التقدمي في مسائل الدين وقدشجعه على ذلك والده حين كان تقدميا في أفكاره.

ومما دفعه إلى مواجهة الحياة والرغبة في أن يصبح ذا شأن في الفكر والأدب هى الثقة بالنفس والإرادة القوية التي لم تجعله يضعف أمام عاهته، فقرأ أمهات الكتب واستطاع أن يجود القرآن وحفظ (ألفية ابن مالك) ودفعه فكره المستنير والتقدمي إلى المعارضة والتمرد والرفض، وأول من تمرد عليهم هو والده عندما رآه يقرأ(دلائل الخيرات) حاول أن يثنيه عن ذلك لأنه لاينبغي أن يتوسل الإنسان بالأنبياء، ذلك يتنافى مع الإسلام، مما آثار

غضب الوالد وتذمر أفراد الأسرة وقرر ألا يرسله إلى الأزهر، لكن ذلك كان يزيد الفتى إصرارا وعنادا، وانتشرت أفكاره هذه في كل أنحاء القرية وراح يجادل ويحاور كبار الرجال منهم.

عرف أيضا زوجة موظف الطرق الزراعية التي كان يكبرها بكثير وكان يقرأ عليه القرآن، ونشأت بينهما علاقة مودة ساذجة، وكان ذلك لذيذ الوقع على قلبه.

علقت المرأة بحياة طه حسين شريانا، يتصل بشريانه،وتجاوب مشفقا وخاصة أمه التي أدركت اضطراب إبنها أثناء تناوله لبعض الأطعمة، وضحك أخوته عليه، وبعدها حرم على نفسه، تناول بعض الأطعمة منها الحساء والأرز والعسل، فما كان أن عزلته في حجرة خاصة ووضعت له الأطعمة التي يحبها، ليكل كما يحلو له.

أما الطفلة التي علقت بذهنه وتربعت في قلبه وحزن كثيرا لفراقها هى أخته الصغيرة التي راحت ضحية للجهل الذي أودى ببصره، فقد مرضت بالحمى ولم تسعفها الأسرة فماتت،وكانت طفلة بريئة وغريبة الأطوار،تتحدث مع عرائسها وألعابها طوال الوقت، وكان طه حسين يفرح لذلك وينصت إليها.

ومن أكثر ما أثر في حياته أيضا (ميً زيادة) والتي فتحت له طاقة من نور الأمل، وتعرف عليها عن طريق لطفي السيد وأول من

جذبه فيها صوتها الرقيق الذي نفذ إلى قلبه سريعا أثناء حديثها في محفلها الأدبي،وظل يتردد على صالونها وتقرأله وكانت تناديه(بأبي العلاء وفولتيرمعا)

ويرجع الفضل إليها في تأييد طه حسين للأديبات المصريات اللائي ظهرن بعدها، وكان أيضا من باعثي الأمل لتأخذ المرأة المصرية دورها في الثقافة والتعليم الجامعي.

ومن كثرة إعزازه وتقديره لميً زيادة منع نشر رسائلها بعد الحزف والزيادة، وقال: إن هذه مؤامرة على سرامرأة، وبرر ذلك بأن الرسائل لابد أن تنشر كاملة تحقيقا للأمانة والصدق.

لقد غزت المرأة قلب طه حسين وفكره، وملأت عليه حياته(قصة حبه سوزان.. أسطورة الحب الجميل) والتي لم يتزوجها طه حسين لجمالها ورقتها ولكنه اختارها لرجاحة عقلها وثقافتها ونضجها، رغم أنها أجنبية وكان يحذر من زواج المسلم من الكتابية إلا في أضيق الحدود.. يقول عنها:

هذا الملاك الذي نزع عن نفسي ظلمة التشاؤم والقنوط.

وكانت حياته معهاثرية وحافلة بالذكريات الحلوة، وقد ظهر ذلك عندما صدركتاب(معك لسوزان طه حسين) ومن فقراته ٣٨،٣٩ ،٣٦،٣٧

إن طه حسين يدين للمرأة بالكثير من خوالج نفسه ، وأكثر ما يدين له، هو حبه لشريكة حياته، وما أثارته في نفسه من كوامن الحب ولواعج الأشـواق، حتى أن قلمه قد فاض به في مناجاة شاعرية رقيقة.. تذوب رقة ووجدا، وكتب الشعر الغنائي الذي سيتغنى فيه بحبيبته حين يقول، وكان هذا في حداثة سنه:

أنا لولاك كنت ملاكا

أبكي. أنوح بالأشواق

سامحيني

في العشاق أنا مشتاق

صدقني

أنا لولاك كنت ملاك

غير مسموح أهوى سواك

سامحيني

وفي كتاب(معك لسوزان طه حسين)أظهرت الزوجة في هذه الشخصية

الرجولة والحنان، والأمـان، والعمق، والإنسـان في كتابها (معك) حين تقول له:

من لي بلحظة معك، إنني أفتقد هذا الحنان الهائل الذي لن يعوض... هذا الحنان الذي تجده الفتاه في رعاية أبيها، ثم ما أسعدها حين تجده في أحضان الزوج...!

ثم المشاركة الفكرية والوجدانية والإنسانية حين يقول لها.. لسنا معتادين على أن يتألم الواحد منا بمعزل عن الآخر..؟

يعرف طه حسين تماما ما هى الحياة، لقد تألم في طفولته ألما مريرا، قاسى كل ألوان الألم: ألم العزلة.. ألم وحدة النفس والروح معا، ألم الشعور بفقد جوهر الحياة، ألم المعاناة لفقد كل من أحب في طفولته، يعرف الحياة تماما وهو في قمة السعادة، يشعر بالألم حتى وهو بجوار المرأة التي هدهدت من نفسيته وسكن إلى جوارها، وهدأت بقربها مشاعره، يشعر بالألم ويعرف الحياة، يعرفها تماما ، يفهمها، تخترق بصيرته فيما وراء الحب، كان يدرك تماما، ماذا وراء الأفق حين يقول لها:

إننا لا نحيا.. لنكون سعداء.. إن السعادة هناك. هناك. في السماء، عند الذي أعطانا الحب، والذي يرى كل ألم والذي يعرف كل دعاء..!ذراعي لن تمسك بزراعك أبدا، ويداى تبدوان بلا فائدة بشكل محزن، فأغرق في اليأس، أريد عبر عينيَّ المخضبتين بالدموع، حيث مدى الحب، وأمام الهاوية المظلمة، حيث يتأرجح كل شيء، أريد أن أرى تحت جفنيك اللذين بقيامغلقتين ابتسامتك المتحفظة، ابتسامتك المبهمة

الباسلة، أريد أن أرى من جديد ابتسامتك الرائعة، أترين كيف أنك ضيائي حاضرة كنت أم غائبة، كان على أن أتألم في حبي أيضا، فلنرحم أنفسنا، أنت . أنت معنى حياتي، إذن ما الذي يحدث لنا، اطويني في جناحك كما كنت تفعلين دوما، بدونك أشعر أنني أعمىحقا، أما وأنا معك، فإنني أتوصل إلى الشعور بكل شيء، وإلى أن أمتزج بكل الأشياء التي تحيط بي

من الشخصيات الجميلة والمحببة إلى نفسه والتي أثرت في حياته ابنته (أمينة) حيث كان يحبها حبا واعيا، مدرك لحناية النفس، ويشرح لها بأسلوب تربوي، نشأته وكيف كان خير الأطفال، كما أنه الآن خير الرجال

ولم يشأ أن يحدثها عن طفولته البائسة وهى حديثة السن خوفا عليها من الحزن والتأثر، يحكي لها قصة (أوديب) وقد فقأ عينيه بعد أن خرج من قبره، لايدري كيف يسير، وأقبلت ابنته(أنتيجون فقادته وأرشدته.

تقول الأم (سوزان طه حسين):

وما هى إلا أن أجهشت بالبكاء، وانكببت على أبيك، لثما وتقبيلا، وأقبلت أمك فانتزعتك من بين زراعيه، وما زالت بك حتى هدأ روعك وفهمت أمك وفهم أبوك، وفهمت أنا أيضا، ما بكيت إلا لأنك رأيت (أوديب الملك) كأبيك مكفوفا، لايبصر.

فما أروع ما خطه قلم أب ابنته، وما أروع اعترافاته بفضل المرأة على حياته، بعد أن قص لإبنته.. معاناته في أيامه كاملة، بكل ما فيها من ألم ودموع.

وكانت د. سهير القلماوي من النماذج المشرفة للمرأة المصرية، التي شجعها وأعانها (طه حسين) على تخطي الصعاب، والصمود أمام هجمات المعادين لفكرة تعليم الفتاة.. التعليم الجامعي..!

وفي ذكرى رحيل (طه حسين) معلمها الأول وأستاذها سجلت له بوفاء نادر كتابها (ذكرى طه حسين) لتقول له:

أستعيد منك عنوان هذا الكتاب (ذكرى أبي العلاء) فكم أخذت عنك في حياتك، وكم سأظل آخذ منك ما حييت، فما أنا إلا كتاب من كتبك، وكما تبدو شخصيتك في كل كتاب لك وتتكرر مميزات أسلوبك في كل مؤلف، كذلك طمعت طوال تلمذتي عليك وسأظل أطمع في أن أحمل بعض مميزات وبعض خصائص أسلوبك.. لقد حببت إلينا في مراحل شبابنا الأول، أبا العلاء المعري، بكتابك وبتدريسك، وأنا أطمع في أن أحبب الشباب في أدبك والجدير بالذكر أن (طه حسين) كان في حياته وفي كتاباته مؤيدا للمرأة، يقف بجانبها دائما، يلمس مدى ما تلقاه من ظلم ومن رواسب، ومن أغلال ومن قيود، ويتمنى لها التطور

والخلاص من أسر التقاليد، ويريد لها التطور الاجتماعي والثقافي، وفي حياته مع زوجته تلك الحياة التي تجعلها شريكة في فكره، تؤكد وتؤيد مدى إيمانه بضرورة مشاركة المرأة للرجل، في آداء دورهاالاجتماعي، وكان إيمان طه حسين بالحب عميقا، وبأنه السبيل الوحيد لتطير النفوس، من كل ما يشوبها من رواسب الحقد والإنتقام.

وإذا اطلعنا على مؤلفات(طه حسين) وكتاباته عن المرأة، نجد أنها احتلت مكانة بارزة في فكر وكتابات (طه حسين) حيث يعتبر المنادي الأول برقي فكرها، والمنادي الأول بصدق أحاسيسها، والمنادي الأول بعمق حنانها وعظيم وفائها وعطائها، وهى تشكل عنده النموذج الأنثوي للوفاء، فهى المرأة التي تضحي، والمرأة التي تفني نفسها، وتتفانى في خدمة الغير، والمرأة التي يطهرها الحب، وهى تشكل بصفة عامة في مفهومه وفي عقيدته، في إيمانه عنصرا من أهم عناصر الترابط الإنساني.

الإنسانية كلها تنبع من الأمومة، والأمومة هى العطاء، والحب هو الهبة الإلهية، ونفحة من السماء، يهبها الله لمن أراد له الخير، فيهبه الحب الرائق والمودة الصافية،والعطاء المتفاني، في زوجة تمثل له قمة العطاء الإنساني..إلخ

فنعمة البصر التي حرم منها، جعلته يستشعر أصفى لمسات الحنان، وقرب روح من روحه،جعلته يستكين،ويهدأ مع قوة كفاح ونضال خفية، تنبعث من أعماقه للحصول على المرأة التي يحبها، ثم الإحتفاظ بهذه المرأة التي أحبها..!، وتنعكس هذه الانفعالات الوجدانيةعلى إنتاجه الأدبي، ونظرته الشاملة للمرأة..

فهو يعكس أبا العلاء تماما، شبيها له في نظرة تشاؤم للحياة.. وللمرأة، متفتح هو للحب، متفتح هو للحياة، متفتح هو للكفاح في سبيل وجود كيان أنثوي، أعطاه كثيرا وسوف يبادله عطاء بعطاء

نشرت في جريدة القاهرة

المرأة في روايات نجيب محفوظ

إذا تناولنا نساء محفوظ الروائية، نجد كما يرى البعض،إما سلبية أوفتاة ليل، فقد أشارت الناقدة (عزة هيكل)إلى أن محفوظ قدم نماذج نسائية ملوثة دوماً بالسقوط الأخلاقي، فالنموذج السوي للنساء لا يمكن أن تجده في نصوص محفوظ سوى رواياته الأولى. وتشير الكاتبة (فوزية العشماوي) أن نموذج السيدة أمينة في الثلاثية لم يسقط لأن ما حماها من السقوط هو تربيتها الإسلامية الأصيلة التي حصلت عليها في بيت الشيخ الأزهري الذي علمها أصول وقيم الدين الإسلامي ، لقد جسدت أمينة صورة الزوجة المسلمة المتدينة الأمية التي تخاف من العفاريت، وهذا هو النموذج الذي يعبر عن المرأة الملائكية، رمز القيم الإسلامية التي تربط جميع أفراد الأسرة برباط وثيق من الحب والإحترام المتبادل.

والحقيقة أن الحياة المحافظة في بيت وأسرة نجيب محفوظ، يقابلها فى أعماله من الشخوص النسائية بخاصة، بطلات غير محافظات من دنيا العوالم مثل زنوبة وحميدة وريري، كلهن تعبرن بدرجة ما من الإنحراف عن قيم المجتمع.

والسؤال المطروح، لماذا إهتم نجيب محفوظ بمثل هذه النماذج من النساء؟

يقول في حواراته مع المصور١٩٨٨..

النساء اللاتي قدمتهن ليس كلهن (عوالم)، ولكن في كتابتي جزء من التاريخ ومن رابع المستحيلات أن أقدم شخصية مثل (السيد أحمد عبد الجواد وأصحابه)دون أن أقرنها بالعوالم، لأن هذا العصر كان عصر عوالم والمرأة عند نجيب محفوظ ليست إذن ساقطة أو فاضلة رغما عنها، بل إنها في المقام الأول إنسانة تؤثر وتتأثر بالظروف المحيطة بها.

والجدير بالذكر أن نجيب محفوظ لم يقدم المرأة بصورة سطحية أو مهمشة، وإنما قدمها بصورة تحتاج من القارىء إلى التفكير والتحليل النفسي والمنطقي، قدم وجوها عديدة للمرأة، لا كما ترى نفسها ولكن كما يراها الآخرون، فهى المتسامحة والمغلوبة على أمرها، وهى القوية والشرسة ، وهى المخطئة وال ساقطة.

ومن خلال تقديمه لكل شخصية يسعى دائماً إلى إقناع القارىء بالتعاطف معها وتفهم ظروفها واحترام البعد الإنساني فيها.

إهتم نجيب محفوظ بتقديم صورة المرأة في القاهرة خاصة

في الأحياء الفقيرة، قدمها بصورة مليئة بالمشاعر والأحاسيس والحيوية قدمها بحرفية عالية، جعلت منها علامات بارزة ومهمة في الرواية العربية في العصر الحديث، فقد قدم نموذج الأم والزوجة المتفانية المتسامحة من أجل أبنائها والتي يصل بها الحال أحياناً إلى الخضوع والإستسلام،وهوما يجعلنا نشعر تجاهها بالقهر والظلم الواقع عليها

(فأمينة) في ثلاثية محفوظ صورة لها ما يبررها في الواقع التاريخي والإجتماعي في تلك المرحلة الزمنية، وعلى الرغم من ذلك نجد(أمينة) قد غيرنا فكرنا عنها في تلك المرحلة الزمنية وخضوعها كان ظاهريا فقط، أما داخلها(نفسيا) فشيء آخر، لقد أنجبت أمينة مناضلا ثوريا يثورعلى الظلم والاستبداد، حيث ربت أبناءها على الحرية والكرامة، وعدم قبول الذل والهوان والاستسلام،رسخت فيهم القيم الوطنية من انتماء وتضحية في سبيل الوطن حتى ولو كان الثمن حياتهم، لقد خرج ابنها فهمي عبد الجواد إلى الحياة بعد أن شرب من أمه كل تعاليمها وأفكارها ومبادئها التي غرستها فيه ، وأصبح فهمي الوطني الثائر على الاستعمار إلى أن نال الشهادة وهو يؤدي واجبه الوطني.

×وفي (بداية ونهاية) قدم محفوظ الأم والأخت نموذجا لأسرة

تعيش تحت خط الفقر،الأم تدبر معيشة أبنائها التي ترعاهم ولكن لابد من مساعدة نفيسة التي عملت خياطة لتساعد أمها في تربية أخواتها خاصة شقيقها الذي تتمنى كل الأسرة أن يتخرج ضابطا، تكسب نقودا قليلة من الحياكة وعندها تتاح لها الفرصة لتحصل على ربح أكثر،سارت في طريق الانحراف ولم تتردد، وتكون نهايتها مأساوية ، تنتحر على يد فتى هذه الرواية (بداية ونهاية)١٩٤٩ يصور الكاتب أثر الفقر في حياة الأنثى بدون أن تضطر إلى الاعتماد على الصدفة في الجمع بين خط الذكور وخط الإناث في استجابتهم للفقر، كما جمع بين محجوب وإحسان شحاته ، نفيسة يتيمة ، لاتملك مالا ولا جمالا، لكنها تتقن الخياطة وقد رأت أمها أن تطلب لابنتها أجرا على ما تخيطه من ثياب الجيران، وتصبح الفتاة(خياطة) أي فتاة عاملة في الثلاثين وهى تقبل هذا مرغمة، ويقبله شقيقاها على مضض، لكن الجميع يستنكفون من اشتغالها بهذه المهنة ويعير بها الضابط شقيقها (حسنين) عند اللزوم، وهذا العمل يُشعر الفتاة بالضِّعة، وجدت نفسها في مثل هذا الموقف طول عمرها، تصاعد الدم إلى وجهها الشاحب فكاد ينضح به، شعرت بأنها تهوي من علٍ

وأنها أمست فتاة أخرى، ليس بين الكرامة والضعة إلا كلمة

(كانت فتاة محترمة) فانقلبت خياطة. وأعجب شيء أنه ما يستجد جديد بالنسبة إلى العمل نفسه، فطالما خاطت ثياب صاحبة البيت وامرأة فريد أفندي وابنتها وغيرهن من الجيران ، والخياطة هوايتها، ولها فيها من البراعة ما يجعلها قِبلة الجيران والصديقات، لشد ما تغير شعورها، أحست بالخزي والهوان والضعة، وتضاعف حزنها على أبيها،فبكته بكاء حارا، وبكت نفسها فيه.

مات الفقيد المحبوب ، فمات بموته أعز ما فيها، فالفقر أورثها اليأس والعمل أورثها الشعور بالمهانة وأعطاها في نفس الوقت حرية الخروج من البيت والبقاء خارجه طوال اليوم، وهى شابة في مقتبل العمر يمتلىء جسمها بالحيوية وإن خلا من الجمال، فكان سقوطها تدريجيا ولكن حتميا.

ولعل سقوط نفيسة هو أبلغ إدانة للفقر في أدبنا المعاصر مع أن الكاتب لم يصور الفتاة تتردى إلى السقوط دامعة العينين لتنفق على أطفال صغار أو أب مريض، ولم يصورها ضائعة، وحيدة وسط المدينة كما يرد في تهاويل الرومانسيين من كتابنا

بل جعلها فتاة ذات مهنة تتكسب فيها، فهي عضوة في أسرة كبيرة، تشعر بالرعب من الفضيحة في كل دقيقة، والفتاة تتحمل

مسئولية سقوطها كاملة وتعيش في أسرتها كالمحكوم عليه بالإعدام إلى أن يصدر شقيقها الحكم بانتحارها عندما يكتشف فضيحتها وكل همها أن تجنبه مزيدا من الألم.

×كما قدم نجيب محفوظ شخصية (حميدة) في زقاق المدق وهى تنطوي على مقومات حكاية البطلة الفقيرة الجميلة التي تقع في براثن ذئب بشري، فهى جميلة حقا، يخلب جمالها الألباب، ويلفت أنظار الشباب بل والشيوخ لكن فقرها لا يضفي عليها من الرقة(الغلب) ما يجذب إليها قلوب القراء، بل إن فقرها ينغص عليها حياتها، فهي سيئة الخلق، صوتها أجش ولسانها بذىء، لا تنفك تسلق به الجارات حتى كرهنها جميعا، وإن أحبها الرجال ولووا أعناقهم، يتبعونها بنظراتهم في روحاتها وغدواتها، وشعرها فاحم لامع، يصل إلي ركبتها ولكن تفوح منه رائحة الكيروسين، وهى ليست جاهلة بحقائق الحياة وطبائع الناس، حقا إن عالمها صغير، لا يتعدى الأزهـر والموسكي حتى ميدان العتبة، وهى لا تعرف شيئا عما يلي ذلك من شوارع وما يدور فيها من حياة ،ويبهرها ركوب التاكسي ومنظر الأثاث الفاخر في شقة بشارع شريف، لكن هذا لايعني أنها فتاة بريئة وأنها(بنت الطبيعة) إنها تفهم الناس ودوافعهم، فأمها خاطبة وبلانة وهى تعرف معنى نظرات عباس الحلو ونظرات السيد سليم علوان وتسير إلى

الغواية مفتوحة العينين وإن خدعت بطريقة أخرى لم تخطر لها على بال، وقد فهمها الذئب وشخصها (عاهرة بالسليقة).

وأقصى ما تتمناه حميدة أن يتزوجها تاجر مسن أو مقاول غني لتنعم بما في الحياة من طيب الملبس والمأكل ، وفي النهاية لا تجد بغيتها من ملبس وحلي إلا في سوق الدعارة.

فحميدة وباقي نساء الزقاق يمثلن مرحلة الواقعية، حميدة والمعلمة حسنية الفرانة، يظهرن جميعا على حقيقتهن، اللحيمة، الجسيمة، الشابة، المشاكسة، والمغلوبة على أمرها، كلهن شخصيات مصرية.. واقعية . لقد جاءت الحرب العالمية نقمة على أهل الزقاق، يخرج حسين كرشة من الزقاق ليسكن شقة نظيفة بالكهرباء ويتزوج فتاة ترتدي الفستان لا الملاءة، ويرتاد هو السينما والملاهي.

وكما حدث لحسين حدث لحميدة- مع الفارق- جاءت الحرب في هيئة فتيات المشاعل والعاملات في الجيش وفي المحال العامة وقد شبعن بعد جوع، ولم تجد حميدة نفسها مضطرة في يوم من الأيام إلي العودة إلى الزقاق، ويوم عاد خطيبها (عباس الحلو)من التل الكبير بشبكتها المتواضعة في جيبه ورأى هلال الماس يلمع في عمامتها وقرط الماس في أذنيها، تعاقر الجنود

والخمرفي حانة بشارع شريف فأهوى على وجهها بزجاجة فارغة ، يومها قتل تحت أقدام السكارى،أما هي فنقلت إلى القصر العيني وعولجت من جرحها حتى شفيت .

والجدير بالذكر أن نجيب محفوظ كان ينحاز للأغلبية الساحقة من الشعب ، ويتخذ من الفقر والجهل معالما ثابتة، لذلك تظهر مختلف الشخصيات الروائية أو القصصية في أعماله، وقد أُصيبت غالبا بهذا الفقر أوذاك القهر أو بكليهما.

قال بعض النقاد إن (حميدة) في زقاق المدق ترمز لمصر، هذا الأمر لم يخطر ببال المؤلف نجيب محفوظ أثناء الكتابة، ولكن حين قارن بين ظروف مصر وظروف (حميدة) رأى تشابها كبيرا في الفقر والقهر، هنا عميل للخواجات يريد حميدة أن تعمل لحسابه،وهناك عميل آخر يريدها للغرض نفسه.

هكذا لم يستبعد محفوظ انعكاس حالة مصر على حميدة.

أما الأشكال الأخرى للبغاء الفكري والسياسي فما هى حاجة أصحابها؟ المقارنة ستتولد تلقائيا عند القاريء في مجرى الأحداث،حتى أنه يفاجأ بأن المومس أحيانا أفضل من الآخرين، وبطبيعة الحال فإنه يدرس طبيعتها ففي (السمان والخريف) نجد المومس أفضل من بطل الرواية، وهو أقرب إلى الرفد السياسي،

وأحيانا تصبح المومس في حالة عشق حقيقي كما هو الحال عند نور في (اللص والكلاب) وبدءا من هذه الرواية تلعب المومس دورا متزايدا في أدب نجيب محفوظ، وهذا يعد دورا اجتماعيا وسياسيا وليس تصويرا وتحليلا لشخصية المومس بذاتها.. فهناك أعمالا عظيمة لكتاب كبار تناولوا شخصية المومس في ذاتها لا لسبب آخر،أما نجيب محفوظ فقد تناولها ليضرب بها نماذج في المجتمع.

× وفي رواية (السمان والخريف)، يقدم لنا نجيب محفوظ بطلة الرواية (ريري)فتاة ليل يلتقي بها (عيسى الدباغ)بطل الرواية بعدما بلغ به اليأس من المستقبل السياسي مع الثورة مداه،فقرر هجرالقاهرة إلى الاسكندرية باعتبارها مكانا-بعد التصييف- لايعرف فيه أحدا ولا يعرفه أحد. وفي الاسكندرية رأى مع قدوم الخريف أسراب السمان تتهادى إلى مصيرٍ محتوم عقب رحلة شاقة مليئة بالبطولة الخيالية،وفي الوقت الذي خلا له فيه أن يمشي يومياً في شارع سعد زغلول،وفي ظروف عابرة التقى (ريري) وهى مجمع تناقضات شكلا ومعنى وخبرة، وطالت صحبتهما حتى بدت ضرورة في منفاه الاختياري، ومع الأيام علم بأنها حامل، ولم ير في هذا إلا الفضيحة المحتملة، ورغم ذلك لم يرفق بها، فضلا عن حمايتها والإعتراف بما في بطنها، والأمَرمن

ذلك،طردها وأنكرها لحظة أن حاولت التقرب منه، فلم ير في قربها غير الكمين والتشهير.

إنتهى الدباغ إلى الزواج من مطلقة عاقر، عاش على مالها حتى ملَّت عيوبه، وفي مقدمتها القمار، حاول الهروب من ماضيه ومراوغة مستقبله، إلى أن عاد إلى الاسكندرية، وهناك رأى (ريري) تجلس كمديرة محل للآيس كريم والساندوتشات،

ورأى معها طفلة(نعمات) عرف فيها ابنته وهيئته، وملامح أسرته، وعندئذ استجدى ريري أن تطمئنه، وتعترف له،لكنها وصفته بما سبق أن وصفها به وتجاهلته، وهددته حتى بعد أن لاحقها إلى شاطيء البحر ورأى ابنته، ولم يكن له منها غير قبلة خاطفة ، وهى تلعب بالرمل لاهية، وبقيت منتسبة لرجل سجين عطف على أمها.

إن المشهد الحواري بين عيس وريري غني بالدلالات، وخاصة فيما يتعلق بالطفلة نعمات:

- البنت بنتي أنا، ولا علاقة لها بالرجل الذي في السجن.
- هى ابنته تبناها بأخلاقه فملكها إلى الأبد، وأنا مثلها.

اشتد تقبض وجهه فقالت منذرة:

- إحذر أن تلقاني بعد الآن، إني أحذرك.

- ياريري، أنت تغلقين باب الرحمة.

- أنت الذي أغلقته فاذهب.

قال بنبرة باكية..ابنتي

فصرخت وهى تندفع في سبيلها

- لست أنا، أنت جبان ولا يمكن أن تكون أبا.

فإبنته منسوبة إلي غيره، هذا الغير يبدو الآن أكثر عطفا وحماية للفتاة وأمها رغم أنه سجين متهم، أما تعليل هذا فلأنه جبان والجبان لا يمكن أن يكون أباً.

إننا إذا حاولنا إعادة توزيع وتحديد النسب والمسافات بين الرمزوالمرموز إليه لن نكون بعيدين عن الموقع الصحيح إذا رأينا أن الطفلة (نعمات)- البريئة الصامتة - لم تقم بأي دور بعد بيديها وأن تكون المحرك الحقيقي لكل ما تم من أبويها، هذه الطفلة هى (حركة الجيش) أو ما أطلق عليه بعد ذلك (الثورة) ومن ثم سيكون عيسى الدباغ مجسدا لدور الأحزاب أو (حزب الوفد بالذات)في الحياة السياسية المصرية قبل حركة الجيش، وتكون ريري، فتاة الليل الطنطاوية الأصل ممثلة لعامة الناس الضائعين في زحمة الصراع، وهم نفوسهم طاهرة ، وقلوبهم عامرة بالخير ومليئة بالعواطف النبيلة والإيثار، وقد تجلى

ذلك واضحا في شخصية (نفيسة) في بداية ونهاية وهنا نجد توضيحا كاملا للظروف التي دفعت بها دفعا إلى طريق الانحراف، وكأن بالرواية محاولة كاملة لهذه الظروف، وكأنها تبرر موقف نفيسة المغلوبة على أمرها، والإدانة هنا كلها تقريبا في جانب الشخصيات الأخرى التي دفعتها إلى هذا الطريق، وفي مقدمتهم شقيقها الضابط.

فبداية ونهاية هي في الواقع إدانة للمجتمع، ولم يكن من الممكن ولا السليم أن يوزع هذه الإدانة بين المجتمع وضحاياه.

× وزهرة في (ميرامار) علي النقيض تماما من شخصية (حميدة) في زقاق المدق، فزهرة تعيش ظروفا مشابهة لظروف (حميدة) بل اختارت التعليم للخروج من مستنقع الجهل والفقر وتحكم الرجال فيها وزهرة تمثل النموذج الذي يعبر عن جيل الستينيات قبل نكسة ١٩٦٧ لأنها ترغب في احترام الناس لها وأن تعيش حياة حرة كريمة. لذلك لم تجد أمامها سوى الطريق الصحيح وهو التعليم،وهى فلاحة شابة لها وجهان، فهى فلاحة معدمة تماما وهى امرأة تجمع في شخصها ضحية مزدوجة للماضي المظلم، وقيمتها التمثيلية مضاعفة من هذه الناحية٠

وهى الشخصية الوحيدة التي تمثل المستقبل في رباعية

الاسكندرية الجديدة (ميرامار) وهى مصر التي صورها الفنان مختارفي شكل فلاحة(تمثال نهضة مصر).

هربت زهرة من قريتها في البحيرة بعد وفاة أبيها لأن جدها أراد أن يزوجها عجوزا مسنا لتخدمه وهى قوية ، بسيطة وواثقة من نفسها، قصدت بنسيون(ميرامار) لتعمل عند صاحبته العجوز(ماريانا) ولكنها فتاة جميلة ، يلفت جمالها الأنظار.

وتدور أحداث الرواية حول علاقة الشخصيات المختلفة في البنسيون بزهرة،وماريانا العجوز الخربة التي مازالت تحلم بمشروعات الثراء وهى تعد نموذجا آخر للمرأة، تتهالك على الملذات بقدرما يسمح لها الضغط وتذهب إلى الحلاق استعدادا لسهرة صاخبة ليلة رأس السنة تعيش دائما في الماضي، ماضي شبابها وماضي البنسيون، يوم كان (بنسيون السادة) وماريانا حانقة على ما أصاب الاسكندرية من تغيير دعى كثيرا من أمثالها إلى أن يصفوا أعمالهم ويرحلوا ، فلم يعد في المدينة سادة من أمثال (طلبة مرزوق) يلعبون بالمال لعبا ولا جنود من جيش الإمبراطورية الذين جمعت منهم ثروة طائلة أثناء الحرب، حين بقيت في المدينة أثناء الغارات الجوية وحولت البنسيون إلى ناد للهو والقمار.

مريانا العجوز هذه تستخدم زهرة وتستغلها ولا تتورع عن المتاجرة بعرضها لو أنها قبضت الثمن،وهى في النهاية تحملها وزرما وقع في البنسيون من مصائب وتطردها بلا رحمة، يحبها عامر وجدي حبا خالصا، ويشفق عليها من حبها لسرحان البحيرى ويحذرها برفق من أن هؤلاء الشبان طموحون ولكنه لا يملك إلا الصمت إزاء يقينها بأن الدنيا تغيرت وأننا جميعا أبناء حواء وآدم.

فزهرة على جهلها وفطرتها هى الثورية الحقيقية في الرباعية وعندما تقرر أن تتعلم القراء ة والكتابة، يشجعها عامر وجدي ويساعدها في دروسها . ويختم حديثه في الرباعية بالدعاء لها. أما طلبة مرزوق فيزدريها ويسىء الظن بها وما يفتأ يسخر منها، ويروج عن سلوكها وشرفها الإشاعات.

ويحاول في بادىء الأمر أن يعبث بها لكنها تصده حاسمة وهى تراه ثقيل الظل. يظن نفسه باشا وقد انتهى عهد الباشوية.

يتوسل إليها سرحان بالحب لتعيش معه بدون زواج وتترك البنسيون لكنها تحبه وتطمع أن ينتهي حبهما بالزواج، فهى جادة وهو هازل، فقد عرفت الحقل وتعرف كيف تدافع عن نفسها.

فزهرة هى الشخصية المشرقة في الرواية، وربما حملها

الكاتب فوق طاقتها، فتصويره لمظهرها واقعي، فلاحة جميلة الوجه، رشيقة القد، قوية البنية ولكن قدميها كبيرتان مفرطحتان ويديها خشنتان، شعرها طويل مضفور، ولكنه مغسول بالجاز، على أن بعض تصرفاتها وكلامها يبدو بعيد الاحتمال لقروية جاهلة.

إن زهرة ترفض عرضا طيبا للزواج من صاحب كشك الجرائد والسبب حبها لسرحان.

فزهرة كانت المحور الذي يدور حوله خمسة رجال، يعرض كل منهم تصوره ووجهة نظره بالنسبة للحياة في المجتمع المصري

في الستينات في عهد عبد الناصر.

×وقد ارتفع نجيب محفوظ بمكانة المرأة في رواية (الطريق) وجعلها تمثل الطريق الحقيقي نحو الكرامة والحرية والسلام. الطريق الذي أراده في البداية، فإلهام تبذل نفسها بسخاء وترى في المحبة والتعاطف أساس الوجود ، والحب هنا كما يصوره نجيب محفوظ هو أن تعكس الغير في ذاتك وذاتك في الغير، فالمحبة علاقة،بل هي كمال العلاقة فإلهام تمثل أخلاق العاطفة، ذلك في مقابل أخلاق النزعة الشخصية عند صابر الذي يمثل أخلاق الإرادة، إرادة القوة لا إرادة الحياة، والحياة هي النمو وهي الرغبة في الإقتناء، لهذا سنجد سمو عواطفه نحو إلهام يغريه

بأن يجرب معها حيوانيته لقد عشق صابر أكثر من امرأة ولم يشعر بالقلق، لكن مع إلهام تعذبه كريمة ومع كريمة تعذبه إلهام. والتوحيد بينهما أمنية لا يجرؤ على تنميتها.

وهنا يقدم نجيب محفوظ للقارىء أكثر من شخصية نسائية ولكل منها سمات تميزها عن الأخرى، وتجعل الرجل يحار في أمرها.

فالحقيقة أن صعوبة الجمع بينهما يكمن في التعارض الكائن في نظرتهما للحياة وغاياتها، فهما تتمثلان تجربتين متعارضتين، الأخلاق الجماعية ضد الأخلاق الفردية، أخلاق العاطفة وأخلاق الإرادة، فجاذبية إلهام لا تخمد، ولكن سيطرة كريمة لا مهرب منها كالقضاء، ولسدة وطأة هذه السيطرة يمقتها أحيانا صابر بقدر ما يعشقها، فكم نادى باطنه إلهام لكي تنقذه ولكنه نداء اليأس، وشد ما يهرب من هذا السؤال المذعج(من تختار؟) ص٨٥، ولكنه يدأب على حسه كدمل كامن . أحياناً يمقت وهو ينتظر كالأسير .

وإلهام سماء صافية . يجرى تحتها الأمان وكريمه .

سماء ملبده بالغيوم تنذر بالرعد والمطر ولكنها أيضاً سماء الأسكندريه المحبوبه فقد التحمت فى خياله بهدير البحر ورائحة

الماء المالح واليود وحنين الوطن ومغامرات الليالى المفعمه بالشهوات والمعارك البهيميه .

وهى مثله تعلى فى شرايينها دواعى الفطره و الغزيره والعمى والقمه لا كإلهام، نسمه تستقر فى ذروة لا يرقى إليها أحد و يقع صابر فى دوامة العقل ينصحه بأن يهجر إلهام لكنه لايستطيع . كأبيه فيما تعده به وفى أنها حلماً عسير التحقيق

أما كريمه فأمتداد حى لآلامه فيما تهبه من متعه وجريمه . ولكنه لايستمر كثيراً فى هذا العذاب فهو يختار الجانب الذى يتفق وفلسفته في الحياة.

والجدير بالذكر أن معظم المومسات في أعمال محفوظ ذوات نفوس طاهرة وقلوب عامرة بالخير ومليئة بالعواطف النبيلة ومواقفهن مع بطل الرواية تتسم دائما بالنبل والإيثار، وقد تجلى ذلك واضحا في شخصية (نفيسه) في (بداية ونهاية)

حيث نجد توضيحا كاملا للظروف التي دفعت بها دفعا إلى طريق الإنحراف وكأن بالرواية محاولة كاملة لهذه الظروف، وكأنها تبرر موقف نفيسة المغلوبة على أمرها والادانة هنا كلها تقريبا في جانب الشخصيات الأخرى التي دفعتها إلى هذا الطريق وفي مقدمتهم شقيقها الضابط، فبداية ونهاية هى في

الواقع إدانة للمجتمع، ولم يكن من الممكن ولا السليم أن يوزع هذه الإدانة بين المجتمع وضحاياه.

والملاحظ في أعمال نجيب محفوظ الأدبية ، تنوع نماذج المرأة حيث ظهرت في رواياته بشكل موسوعة كاملة للشخصيات النسائية من المرأة المغلوبة على أمرها إلى القاهرة ومن المرأة الأمية إلى المثقفة، وقد صورهن جميعا بنفس درجة المعرفة والإتقان وبنفس درجة التعاطف معها، المرأة المقهورة التي تستسلم والمرأة القوية التي تتحدى القهر والظلم.

نشرت فى مجلة الرواية

المراجع

١- في الرواية العربية المعاصرة (د. فاطمه موسى) الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٧

٢-نجيب محفوظ- الثورة والتصوف

د.مصطفى عبد الغني،مهرجان القراءة للجميع،الهيئة العامة للكتاب

٣-نجيب محفوظ من الجمالية إلى نوبل، د. غالي شكري

وزارة الإعلام١٩٨٨، الهيئة العامة للإستعلامات

٤-مجلة المصور، أكتوبر ١٩٨٨

٥- مقال منشور في جريدة الأهرام بعنوان(المرأة في أدب نجيب محفوظ، بقلم الصحفية(إيمان فهمي) بتاريخ ٣١أغسطس٢٠٠٦

٦- نجيب محفوظ، وطني مصر، حوارات مع محمد سلماوي،مكتبة الأسرة٢٠٠٠

٧- مقال في جريدة العربي الناصري عدد١٠ سبتمبر ٢٠٠٦ بقلم (محمد رشدي) بعنوان (نساء نجيب محفوظ)

القصة عند قدماء المصريين

برع المصري القديم في كتابة القصة، بل وتطورت براعته وكتب نوعين من القصص،الأول يقص حوادث حقيقية وقعت بالفعل، منها: قصة (سنوحي) الشهيرة، والفلاح الفصيح الشهيرة أيضا، والنوع الآخر قصص من صنع الخيال، معتمدا على الأساطير الدينية مثل(ملحمة إيزيس) وغيرها

والجدير بالذكر أن مصر عرفت فن القصة منذ أربعة آلاف سنة على الأقل

ورغم أن القصة والرواية في الآداب الأوربية أكثر حداثة عن الشعر مثلا، إلا أن فن الرواية في مصر يعود تقريبا إلى نفس الفترة التي نشأ فيها الشعر، وربما جاءت نماذج الشعر الخالص متأخرة أو وقعت في أيدينا أشعار تعود إلى فترات متأخرة.

وتتراوح النماذج القصصية المعروفة بين المنحنى الأسطوري والمنحنى الواقعي، بين السرد واستخدام الحوار، بين استخدام شخوص إنسانية ورموز تجسد القيم المختلفة كالصدق والكذب، وتتراوح بين التسلية والدعوة إلى التمرد على أوضاع خاطئة.

× وتعتبر قصة (الفلاح الفصيح) هى أول قصة في التاريخ

كله، تحكي أن الفلاح المصري(خنوم أنوب) من وادي النطرون كان في طريقه إلى العاصمة لشراء ما يحتاج إليه بيته وأسرته من زاد، وقد حمل حماره ما يزيد عن حاجته من حاصلات أخرى، ليستبدل بها ما يحتاج إليه من طعام وغيره، بينما يسوق حماره ويخترق الحقول، رآه شاب ثري مدلل يدعى (حجوتي نخب) وهو إبن أحد كبار الملاك، والأرجح أن أباه كان (محافظا) للإقليم ،وأراد الولد الثري أن يلهو بالفلاح، ويضحك عليه، فقد أعجبه حمار الفلاح، فكر في حيلة لانتزاع هذا الحمار، لكن كيف؟

تقول القصة التي ترجمها (أحمد يوسف)في كتابه (الأدب المصري القديم)

جاء ذلك الشاب الخبيث بملاءة وفرشها على الجسر الضيق بين الحقول، فارتبك الفلاح، ولم يعد أمامه وسيلة للعبور ومواصلة الطريق للسوق، إلا أن يدوس بحماره ملاءة المستهتر هذا فيغضبه، أو أن يهبط أحد الحقول بحماره فيأكل الحمار بعض الزرع، فيثور هذا الشاب(المالك) وفي الحالين سيكون حظ الفلاح أسود من ليلة حالكة عاصفة، ثم تقع الواقعة، ويستولى العابث على حمار(خنوم أنوب) (الفلاح) فيثور ويسجن في قصر الحاكم لتطاوله عليه وعلى إبنه.

ومن السجن يبعث الفلاح بشكواه إلى الحاكم يستعطفه، ويرجوه أن يطلق سراحه، ويرد إليه حماره، لكن الحاكم الطاغية أعجب بفصاحة(خنوم أنوب)فأوصى بعدم إعادة الحمار ،إليه ليظل يشكو سعيدا بفصاحته ، إلى أن وصل الأمر للفرعون الكبير الذي أعجب هو الآخربلماضة (خانوم أنوب) وأوصى بصرف الطعام لأسرة الفلاح وأمر بإطالة سجنه، ووصل الأمر بضربه بالسياط ليستزيد في شكواه وفصاحته.

وتنتهي القصة بهذه الشكوى العظيمة التي يدين فيها الفلاح الفصيح كل جبروت الحكام في عصره وفي كل عصر.

يقول لفرعون مصر:

(أيها السمير العظيم، يا أعظم العظماء، ماذا أعددت لإطعام الفقير؟أليس خطأ أن يتأرجح ميزانك، لقد ضلت العدالة تحتك، فأزيحت عن موضعها، فالموظفون عندك يقترفون الإثم، وانقلبت الحال للأسوء، فمن وجب عليه أن يمنح الفقير الهواء للتنفس، يأخذ أنفاسنا، وأملاك الفقير أنفاسه، من أخذها منه كتم حياته، أنظر أيها السمير الكبير، لقد تجاوزتك الرحمة، فوجه لسانك للحق،ولا تقل وزرا، وراقب الحكام يامن جئت لرحمة الفقير ، وصرت كبيرا للصوص.

ولا شك أن هذه القصة الرائدة بحق، جعلت من الفلاح المصري بطلا عظيما لأحداثها، وقالت من خلال ذلك كلمة حق وأكثر من ذلك،ونلاحظ أن مؤلفها، المصري القديم، المجهول مع الأسف، قد عرف منذ البداية أن هدف الفن هو المناداة بالعدل الإجتماعي والمساواة، والحق والحرية، وهذه ما زالت، وستظل رسالة الفن العظيم عبر العصور.

×ولعل أقدم القصص أيضا هى المجموعة المعروفة (بردية، وست كار) وتضم عددا من الحكايات محورها أعاجيب الساحر وقدراته الخارقة، وتدور أحداث الحكاية الثانية مثلا حول رئيس كهنة، كان يعيش أيام ملوك الأسرة الثالثة، كانت زوجته على علاقة غيرشرعية مع أحد رجال المدينة، وعرف زوجها رئيس الكهنة أنها قضت يوما مع هذا الرجل في البيت الريفي، ففكر في الإنتقام، وأحضر صندوقه السحري ، تمثالا صغيرا من الشمع لتمساح، وطلب من البستاني أن يلقي هذا التمساح في البحيرة، التي يستحم فيهاهذا الرجل، في المرة القادمة عندما يأتي ليقضي ليلته مع زوجة الكاهن،وحدث أن جاء الرجل ثانية وقضى وقتا طيبا مع الزوجة، ثم نزل ليستحم في البحيرة، فألقى البستاني بالتمثال الصغير ،الذي تحول فجأة في الماء إلى تمساح حقيقي، وما لبث أن هجم على الرجل وابتلعه.

حكى رئيس الكهنة للملك عن قصة هذا الرجل مع زوجته فأمر بحرق الزوجة وإلقائها في النهر.

× تدور أحداث الحكاية الثالثة عن أعاجيب ساحر قام بها أيام الملك (سنفرو) أحد ملوك الأسرة الثالثة، وتحكي أن الملك أخذ يتجول في كل أنحاء القصر باحثا عن تسلية ولما لم يجد، أمر بإحضار رئيس الكهنة الذي نصحه بأن يتجه إلى بحيرة القصر ويركب قاربا ومعه كل حسان القصر، وفي هذه الحالة سيبتهج قلبه و يمتع عينيه وهن يجدفن ذهابا وإيابا، ويستمتع برؤية السمك في البحيرة والحقول الجميلة من حوله.

فأمر الملك بإحضار قارب فيه عشرون مجدافا مصنوعة من الأبنوس مغطاة بطبقة من الذهب وعشرين من أجمل الفتيات، شعورهن في أحسن ضفائر، وصدورهن لم تتهدل بعد من الإنجاب، خلعن ملابسهن وارتدين نسيجا على هيئة شباك ليكشف كل دقائق جمالهن، وتم كل شيء حسب أمر الملك، وبدأن يجدفن وسعد قلب الملك وهو يتطلع إليهن.

حدث أن واحدة من الفتيات وهى ترفع شعرها سقطت منها حلية من حجر كريم على شكل سمكة، وكانت بمثابة حجاب، حل على الفتاة الصمت، وكفت عن التجديف، سسألها الملك:أترغبين

حلية بدلا من التي سقطت؟قالت له: أفضل حليتي الأصلية عن شبيهة لها، فأمر الملك بإحضار رئيس الكهنة، وحكى له ما حدث،فنطق رئيس الكهنة بأقوال سحرية، وألقى الماء في جانب البحيرة على الماء في الجانب الآخر، ثم التقط الحلية وأعطاها لصاحبتها، ثم نطق تعويذة أخرى، فعادت المياه إلى مجاريها، فما كان من الملك إلا أن كرم رئيس الكهنة ومنحه هدايا كثيرة.

وتدور أحداث القصة الرابعة حول أحداث معاصرة:

فالإبن يحكي لأبيه عن ساحر يعيش في نفس الزمن ويصنع الأعاجيب، هو رجل في المائة والعاشرة من عمره، يأكل خمسمائة رغيفا وفخز عجل ويشرب مائة وعاء من الجعة، إنه يستطيع أن يثبت رأسا بعد فصلها عن الجسد ويستطيع أن يجعل الأسد يمشي إلى الخلف ، ويعرف الغرف السرية في معبد الإله (حوجتي) فطلب الملك من أبيه أن يحضر له هذا الساحر، ولما حضر انفجر الملك قائلا (أهذا هو الساحر؟كيف لم أرك من قبل؟ورد الساحر قائلا:إن من يدعي للمثول يمثل ولهذا جئت؟ قال له الملك..هل صحيح أنك تستطيع أن تثبت رأسا بعد فصلها عن الجسد، وأجاب الساحر بالإيجاب، وقال الملك لمن حوله: أحضروا السجين الذي سينفذ فيه حكم الإعدام، ولكن الساحر قال: لايجوز أن أمارس سحري هذا على إنسان.

أحضروا له أوزة وفصلوا رأسها عن جسدها ووضعوا الرأس في جانب والجسد في جانب آخر، وقال الساحر تعويزته، فقامت الأوزة وقامت الرأس ووصلت كل منهما بالأخرى، وصاحت الأوزة.

مارس الساحر سحره على طيور وحيوانات أخرى محققا نفس الأعجوبة.

وطلب منه الملك أن يدله على الطريق إلى الغرف السحرية في معبد الإله (حجوتي):فقال له الساحر(لست أنا بقادر على هذا، وإنما الإبن الأكبر الذي ستلده امرأة إسمها(رع ددت) وهى زوجة كاهن من كهنة رع، وأخوته الثلاثة.

والواقع أن كلام الساحر هنا يتضمن نبوءة عن ميلادملكي، مشيرا إلى ملوك الأسرة الخامسة الذين سيجعلون من عبادة رع الديانة الرسمية للدولة.

وهذا الجزء من الحكاية عن قصة الملوك الثلاثة وكيف أن الآلهة التي شاركت عند مولدهم تشبه إلى حد كبير الأقاصيص المختلفة التي تنبيء بمولد إله أو عظيم في الديانات أو الآداب المختلفة.

وتدخل هذه النبوءة في عداد ما يمكن أن نسميه بقصص النبوءة التي تمت أيام الأسرة الرابعة، أي قبل أن يجيء ملوك الأسرة الخامسة وإلا فقدت أهميتها.

وإذا تأملناهذه القصص السابق عرضها، نجدها تدور حول سطوة الساحر وقدرته على تحقيق المعجزات، وهذا ليس بغريب في تلك في تلك الفترة المتقدمة من تاريخ البشرية، فلم تكن المعرفة القائمة على دراسات موضوعية قد شقت طريقها المميز، ومن هنا كانت سطوة السحرة بمثابة سطوة العلماء في عصرنا الحديث، فهم القادرون على تحقيق المعجزات.

والشيء الهام أن هؤلاء السحرة هم في الأساس كهنة في المعابد المصرية وهذا يوضح الصلة الوثيقة بين السحر والدين في تلك الأزمنة السحيقة، وأن عنصر المعجزة شيء جوهري في الأديان المختلفة.

ولا يغيب عن بالنا المكانة المحترمة التي كان يحتلها هؤلاء السحرة في قصور الملوك إلى درجة أن يخاطب الملك أحد السحرة قائلا:

(أخي، لقد فعلت ما قلته لي وانشرح صدري..)

عصر المملكة الحديثة:

اتخذت القصة اتجاهات أكثر فنية وتعددت الموضوعات التي يدور حولها فن الرواية، وربما كانت قصة(الأمير الواقع تحت حكم القدر) نموذجا محيرا بعض الشيء، فالقصة تدور حول ملك وهب إبنا، لكن العرافات تنبأن له أن الإبن سيلقى حتفه من

خلال تمساح أو أفعى أو كلب:

وتدور القصة حول محاولة الهروب من هذا المصير، ولا يجد الملك بدا من أن يبني لإبنه قصرا على حافة الصحراء، فيه الخدم والحشم وكل طيبات الأرض حتى لا يفكر الإبن في ترك هذا المكان.

وعندما كبر الطفل صعد فوق سطح القصر، وأطل فشاهد رجلا يمشي خلفه كلب، فسأل تابعه ، ما هذا الذي يمشي خلف الرجل؟ فقال له التابع (هذا كلب، فأبدى الأمير الصغير رغبته في أن يحصل على شيء مماثل، ووافق الملك على أن يصطحب الإبن كلبا صغيرا.

وبعد فترة أصبح الطفل يافعا، وسأل أباه، ما سبب إقامتي هنا؟،طالما القدر يطاردني، فاتركني أعيش حتى تحل إرادة الله.

أمر الملك بإعداد مركبة لإبنه، فيها كل الأسلحة ومعه تابعه وكلبه، واتجه الأمير نحو الصحراء الشرقية ومارس كل أنواع الصيد في ترحاله حتى وصل إلى بلاد النهرين، وكان لأمير النهرين إبنة واحدة ، بنى لها قصرا عاليا،وكانت نافذة حجرتها على ارتفاع سبعين ذراعا، وأرسل إلى أمراء سوريا وقال لهم : إبنتي لن تتزوج إلا من استطاع أن يصل إلى نافذتها.

وجاء الأمراء من سوريا وأخذوا يتدربون على الصعود ليصلوا إلى النافذة وفي ذلك الوقت وصل الأمير المصري فأكرموه وشرحوا له ما هم فاعلون ثم سألوا عن أصله، فقال لهم أنه إبن قائد فرسان، ماتت أمه وتزوج أبوه من امرأة عذبته فهرب، فما كان من الأمراء إلا أن احتضنوه وأكرموه.

وبعد أيام قال لهم الأمير المصري: سأحاول ما تحاولون لعلي أنجح، وبدأ صعوده إلى أن وصل لنافذة الأميرة، حيث كانت في انتظاره، فقبلته ورحبت به.

نقل الحراس الخبر إلى الملك، ولما عرف بأصل هذا المصري حزن كثيرا وأمر بإبعاده عن إبنته، لكنها أصرت على الزواج منه، وأعلنت أنها ستمتنع عن الطعام حتى تموت إذا لم يسمح لها والدها بالزواج من هذا المصري النبيل، فلم يجد الملك مفرا من أن يدعو الأمير المصري للقائه، وسأله عن أصله فأصر على نفس القصة التي حكاها للأمراء السوريين من قبل، ووافق الملك على تزويجه لإبنته، وبعد الزواج قال لزوجته أنه مطارد من قبل القدر، فهو يطارده في صورة تمساح أو أفعى أو كلب، فبدأت تخاف عليه، وسألته أن يقتل كلبه المرافق له، فرفض ، فأخذت الزوجة تحوم حوله وهو نائم.

وفي ليلة نام الأمير، وكانت زوجته تعد كأسا من النبيذ، وكأسا من الجعة، فظهرت أفعى من مكمنها لتلدغ الأمير ولكنها ما إن شربت من النبيذ والجعة حتى أصابها الدوار، وانهالت عليها الزوجة ومزقتها إربا، ثم أيقظت زوجها وعرفته الحقيقة.

في الصباح خرج الأمير للنزهة ومعه كلبه حتى وصل إلى بحيرة، يعيش فيها تمساح، يعيش في صراع دائم مع جنية في البحر،عض الكلب الأمير فألقى نفسه في البحيرة، فأمسك به التمساح وقال له:

أنا قدرك الذي يطاردك، سأطلق صراحك الآن شريطة أن تأتي لنصرتي إن عاودت الجنية حربها ضدي.

والحقيقة أن القصة تدور حول سطوة القدر، ويبدو أن الأدب المصري لم يعرف هذا الموقف العبثي أمام القدر كما عبر عنه الأدب الإغريقي القديم وخاصة المسرح، حيث الصراع بين الإنسان والقدر هو المحور الأساسي ومن الملاحظ أن الأدوات المستخدمة في سياق الرواية، التمساح ، والأفعى والكلب، لها مدلولها ومضامينها المصرية، وتتضمن القصة بجانب الشخصيات المصرية، شخصيات من البلاد المجاورة، فهى خليط من التصوير لحياة مصر وحضارات مجاورة.

المؤلفة فى سطور

مديحة مجد ابو زيد الشهيرة مديحة ابو زيد

مواليد القاهرة

ليسانس أداب دراسات إجتماعية

عضو اتحاد كتاب مصر ، عضو نادى القصة

الإصدارات

- مذكرات اخصائية إجتماعية فى الريف- الهيئة العامة للكتاب
- زائر بعد منتصف الليل ، رواية حصلت على جائزة نادى القصة
استلاحة المغتربات، رواية عن الهيئة العامة للكتاب
- مذكرات اخصائية اجتماعية فى المدينة ، الهيئة العامة للكتاب
- المرأة فى حياة و أدب طه حسين، دراسة حصلت على جائزة مركز بحث المرأة ، هيئة قصور الثقافة و صدرت عن نفس الهيئة
- أوجاع الفقد ، قصص صدرت عن إتحاد الكتاب
- الشجن و الثعبان ، قصص صدرت عن نادى القصة
- ٣٠ يونيو و عودة الروح، مقالات و دراسات دار يسطرون تحت الطبع

- انحراف الأحداث و الرعاية المتكاملة دراسة موسعة ، حصلت على جائزة كتاب الجمهورية

- الغربان وبيت العصافير ،مجموعة قصص للأطفال نشر معظمها فى مجلة قطر الندى و مجلة هلال للأولاد و البنات